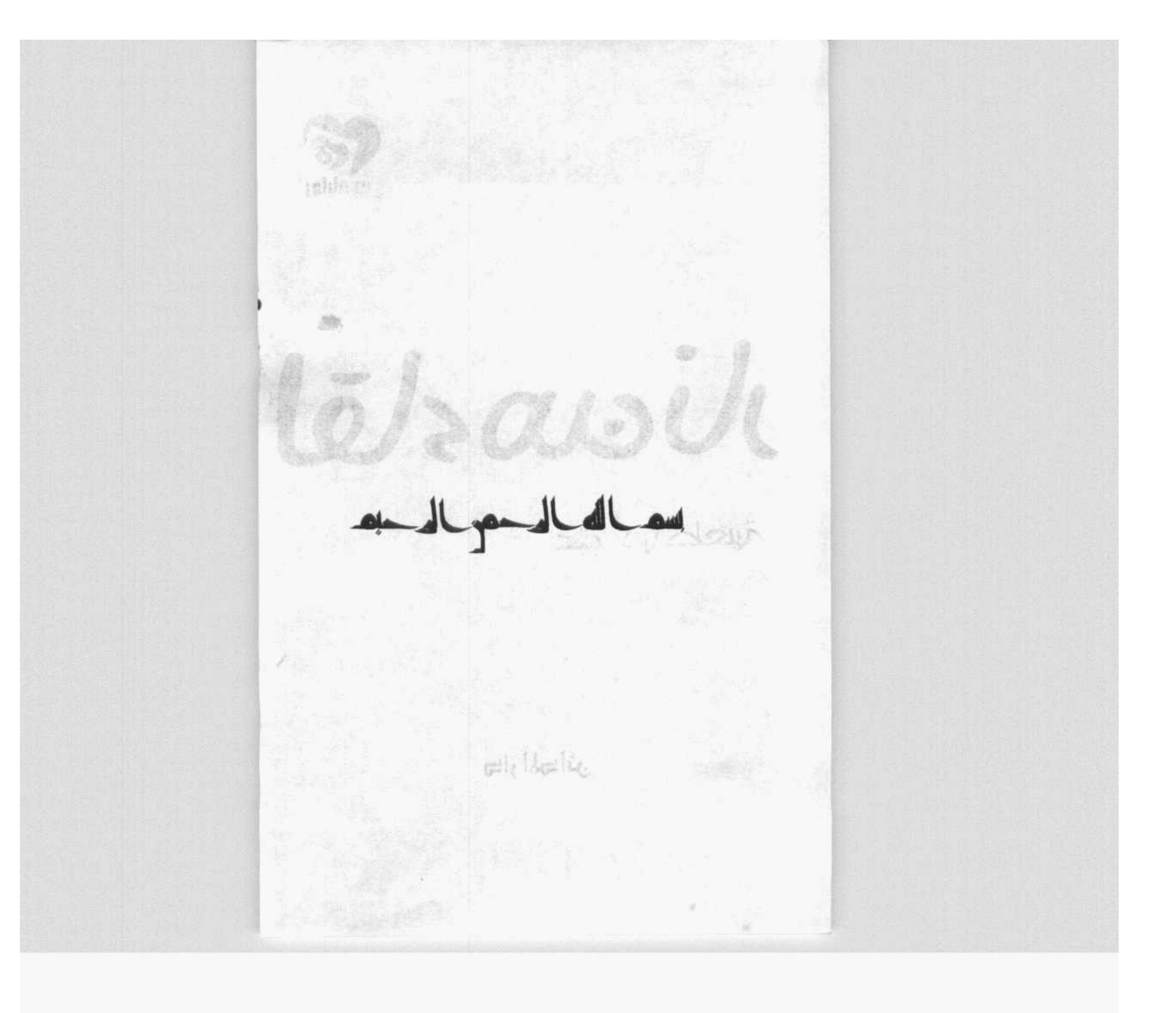


لقاء من نار

علاء الدين حطعيبة

دار المدائن


بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء من نار
(١)

الطبعة الأولى
١٩٩٩م – ١٤١٩هـ

رقم الإيداع : ٩٨/١٥٤٠٢
الترقيم الدولي : 977-5334-35-9

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمي : البيطاش – مدينة الأندلس والحجاز – عمارة ١٤
سموحة : ٢٧ ش محمود – داود عمارة الجمارك – الدور الثاني
تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

رسوم
يسرى حسن

لقاء من نار

خطوات أخرى بعيداً عن هذا البيت .. تكفى كى أتحرر من البؤس وتذيب الصرخات المميتة التى تمزق قلبى .. حاولت أن أجرى ـ ابتعد .. لا أدرى لماذا كنت أهرب ؟ لم أفكر لحظة فى حالى .. جلابية البيت المتسخة .. صدرى العارى .. شعرى المهوش .. قدماى الحافيتان ـ العرق الملوث بالسناج .

استوقفنى عم شعبان الذى كان يقف خلف مقلاة الطعمية فى دكانه وأمسكنى من كتفى :

ـ سهير .. سهير .. أين تذهبين على تلك الحال ؟ ماذا جرى ؟ ماذا جرى يابنتى ؟ لم أسمعه .. دفعته بكلتا يدى وانطلقت والصرخات المدوية تكاد تصيبنى بالجنون .. لا أدرى هل أنا التى تصرخ أم هى .



خرجت عزيزة الكوافيرة على الصوت .. هرعت نحوى .. جذبتنى .. داخل محلها .. التفت حولى نسوة كن يصففن شعرهن ..

لم أطق رائحة الشعر المحترق رغم أنه كان يملأ أنفى .. شعرت بالاختناق .. ثرت على الجميع ..

اندفعت أحاول الفرار من المحل .. فأمسكن بى ... العيون تكاد تثقب وجهى والأصوات تتعارك فى صورة علامة استفهام .. يعلو فوقها الصراخ المميت .. ذاب كل شئ فى لحظة .. وحريق الشعر يزداد .. نظرت مليا فى وجوههن .. كان شعرهن يحترق والنار تندلع فيه .. ورغم كل ما كان يهزنى .. إلا أننى فجأة .. ماعدت أسمع أى شئ .. وفقد لسانى القدرة على الكلام وتحولت فى لحظة إلى جثة فاقدة الوعى .

وفى اليوم التالى أفقت وحولى أهل بيت الأستاذ سيد الموظف بالسكة الحديد فأدركت أننى بت الليلة عندهن ..

نظرت فيهم وكانوا يتكلمون ولكنى لا أسمع .. وحاولت الكلام فلم ينطق لسانى .. وبسرعة كابوسية استعادت ذاكرتى أحداث الأمس المريرة .. فأصابتنى رغبة من الصراخ .. ولكنى لم أقدر .. فأخذت أبكى وكلهم حولى يواسوننى وفى عيونهم حزن شديد ..

وبعد ساعات من الإلحاح أقنعونى بضرورة تناول لقيمات بسيطة تقيم صلبى .. فأخذت أزدردها على مضض وكلما تذكرت أحداث الأمس أبكى بحرقة .

ومر اليوم دون أن يأتى أبى ليرانى وكذلك أمى .. كنت أعلم أنهما أسوأ حالا منى وظن أهل البيت حينما جن الليل أن النوم تغلب على .. ولكنى كنت أغوص فى الماضى السحيق .. إلى أول لحظة فى تاريخ حياتى .. وأظن أننى لا أتذكر قبلها أى شئ .. حينما كنت أرتدى نفس الفستان الذى ترتدى مثله كاميليا أختى .. كنت أتعجب من شدة الشبه بينى وبينها فى كل شئ ولقد أراد والدى ألا نختلف

فى أى شئ منذ تلك اللحظة التى خرجنا فيها سويا من بطن أمى .. ولكن كاميليا خرجت بعدى بنصف ساعة .. وأدركنا بعد سن معين أننا توأم وعرفنا قصة الميلاد ونما بيننا حب كبير .. كنا متلاصقتين فى كل مكان .. وظننت يوما ما أن الذى أفكر فيه .. تفكر فيه كاميليا فى ذات الوقت .. وظننت أن أحلامنا ستكون مشتركة وحلمت أن نتزوج من رجلين توأم أيضاً .. وتخيلت كم سيكون ذلك مضحكا .

ولقد زاد من ظنونى شدة التقارب بيننا فى كل شئ فى الفترة التى تسبق البلوغ .

– كاميليا ... لماذا تأخرت فى المدرسة ؟

– حظى سئ يا سهير أن عاماً كاملاً يفصل بيننا فى الدراسة .. كنت أود أن نكون سوياً طيلة العمر .

– لا تهربى من السؤال يا كاميليا ..

– أهرب ؟! ها ها ها ... هل هذه محاكمة ؟ .. أم

تظنين أن لك الوصـــاية علىّ ؟ ... هه ..... ؟ إن النصف ساعة الزائدة فى عـمـرك عنى لا تعطيك الحق فى هذه الوصاية ... ولا رسوبى فى شهادة الإعدادية سنة يجعل من تقدمك تفوقا .. إنه مجرد قـدرة على التحصـيل .. ليس إلا ..

ـ كل ما تقوليه لا يهمنى ولا يعنينى .. إنما أنا أعرف جيداً .. متى يجب أن تعودى إلى البيت بعد المدرسة ..

ـ هذه أسئلة لا يسألها أبى .. ولا أمى .. ماذا بك ؟

ـ تغيرت يا كاميليا .

ـ ليس من شأنك .

ـ اختلفنا

ـ كان لابد من ذلك ..

ـ أشم رائحة الخطر تقدم من ناحيتك .

ـ الحمد لله الذى جعلنى أتحرر من عقلية موسوسة عشت فيها بسببك كل ما مضى من عمرى .

ـ لماذا تأخرت يا كاميليا ؟

ـ كنت أتجول مع سَحَر ثم جلسنا فى مكان عام وتناولنا شراباً منعشاً .

ـ أصدقك .. ولكن .. ما الداعى لذلك ؟

ـ حديث خطير .. حديث شيق .. ممتع .

ـ من أين تأتى سَحَر بهذا الكلام الفارغ .. ؟

ـ كلام فارغ ؟ ... إنها ثقافة يا سهير يا حبيبتى .. ثقافة جنسية .

ـ قلة أدب ..

ـ هـا هـا هـا ... هكـذا سـهـير ... الشـيـخـة .. الشيخـة سـهير .. ستبقين طيلة حياتك هكذا لا تعرفين الفرق بين الولد والبنت .

ـ كاميليا ...

ـ يووه ... لا جدوى .. لا جدوى من الحوار معك .. أنت قطعة كبيرة من الزلط .

ـ اسمعى يا كاميليا ... اسمعى ياحبيبتى .. سحر تلك فتاة سيئة السمعة .. إنها فى الإعدادية الثانية وكل عام ترسب مرتين .. وهى تكبرك بأربع سنوات .. وسيرتها تلوكها الألسنة .. ألم تجدى غيرها كى تتخذينها صاحبة يا كاميليا ؟

ـ كذب ... كل ما يقال عنها كذب فى كذب .. أنا أعرف الحقيقة كاملة .

ـ أنت لا تعرفين أى شئ يا حمقاء .. هذه الفاجرة ستجرك معها إلى القاع .

ـ القاع ؟ .. ها ها ها .

ـ مستهترة ..

ـ أنا ؟

ـ اسمعى يا كاميليا .. إذا لم يعتدل سلوكك .. فأنا مضطرة لإخبار أبى وأمى .

ـ أبى ؟ ... وأمى ؟ .... أين هما ، .... أين أبى ؟ ..

أين أمى ؟ ... أين أين أين ؟

- لولاهما ما كان لأى منا أن تدخل المدارس وتتعلم ..

- من قال لهما أن يأتيا بنا إلى الحياة .. : إنها رغبتهما النهمة .. ونحن مسئوليتهما إنهما يرغبان فى إحضار مولود جديد .. ورغم ذلك لا أحد منهما فى البيت ... اعجب كيف سيحدث ذلك ؟

- أصبحت وقحة .. وقحة .

- هاها .. .. العاقبة لك يا سهير ...

- سأخبر أبى

- أبى أبى ... هذا الرجل المسكين الذى يخرج ونحن نيام ويعود فى الخامسة يلتهم الطعام ثم يخلد فى النوم إلى التاسعة ثم يقوم إلى عمله ويعود فى الواحدة أو الثانية صباحا .. عليك بأخذ ميعاد بصعوبة .. ثم يسمعك وهو يتثائب وينوى أن يغط فى نوم عميق .

وهكذ اختلفنا وأصبحت لا أشبه كاميليا فى أى شئ

سوى ملامح الوجه ، ومرت الأعوام وتخرجت فى كليـة التجارة وكانت كاميليا تتخبط فى أروقة المعهد الفنى الصناعى .. وإنما أحاول العثور على تفسير لإتساع البون بيننا فى كل شئ .. تساءلت كثيرا .. لماذا لم نبقى كما كنا منذ الصغر .. أهى عوامل الوراثة .. أم عوامل تربوية .. أم حكمة إلهية .. وفى كل مرة بعد الصراع الفكرى أجدنى يائسة مستسلمة للأمر الواقع .. أنا سهير الهادئة الذى ينعتنى الجميع بالعقل والرزانة .. وهى كاميليا العصبية التى ينعتها الجميع بالوقاحة وبذاءة اللسان .. ويبدو أن أبى أيضا قد استسلم كما فعلت أمى للأمر الواقع وأصبحنا جميعا نتعامل معها فى يأس من الإصلاح وذات يوم رن جرس التليفون :

ـ انتظرى يا سهير .. لا تردى .. إنه لى .

ـ تفضلى .

ـ آلو .... نعم أنا كوكى ... ها ها .. وأنا أيضا .. ها ها ها .. نعم .. نعم .. هه ؟ أوكى ... أين ومتى ؟ ... أوه ..

سأحاول .. لا .. لا .. لابد أن آتى .. سآتى باى باى ...

- كاميليا ... مع من كان هذا الحديث ؟

- ليس من شأنك .

- كاميليا ..

- أوه ... سهير .. لم أعد صغيرة .. وقلت لك ألف مرة .. لاحكم لك عليّ .

- أنا أختك .. حبيبتك .. لا هم لى سوى مصلحتك يا كاميليا .

- هاها ... لا تهتمى يا شيخة سهير .. لا تهتمى .. كونى فى حالك ودعينى لحالى

- هل لى أن أطمئن فقط على معنى هذا الحوار ؟ .. ولك منى ألا أقف فى طريقك .

- وعد ؟

- بالتأكيد ..

- إنه صديق ... صديق وحبيب .

ـ حبيب ؟ !!!

ـ أمازلت لا تؤمنين بالحب .. ماذا عن جمال توفيق ؟ ألم يعد يقف لك فى النافذة ؟

ـ كاميليا ... كفاك وقاحة .

ـ انتهى الحديث بيننا .

ـ لا .. لم ينته بعد .. قصّى علىّ أمر هذا الذى تسمينه حبيب .

ـ الحوار بيننا مستحيل يا سهير .

ـ لا ... سأكون هادئة .. استمرى .. استرسلى ..

ـ منير .. سمه منير .. چنتل مان .. سبور .. روش .. ريتش .. وسيم قوى .

ـ يا سلام .. وأين يكون وليد الذى كان يحمل نفس الصفات من قبل ؟

ـ وليد .. ؟! لا تذكرى اسمه .. لا تحدثينى عنه مرة أخرى ..



ـ وما الداعى لهذه الدموع المتفجرة . أكان وليد هو الحب الحقيقى ؟

ـ قلت لك لا تذكرينى به .. إنه جبان كلب خائن .

ـ وحسين ؟

ـ ها .. حسين ؟ . كان لعب عيال وانتهى .

ـ وياسر .. ومراد وغيره وغيره ... اعقلى يا كاميليا .. أنت كبيرة الآن

ـ عدنا مرة ثانية لنصائح الشيخة ..

ـ لا لا ... أكملى .. منير .. كيف تعرفت به ؟

ـ اسمعى يا سيتى ....

وبقدر حنقى من تصرفاتها وبقدر أهمية الموضوع الذى أثرناه سوياً .. إلا أن شيئا واحدا فقط .. شيئا واحدا هو الذى برز أمامى فحجب بنوره كل ما حوله إنه جمال ... جمال توفيق .. جارنا الذى يكبرنى بخمسة أعوام .. والذى لم أعد أراه منذ عدة شهور رغم أننى تعودت فى تمام الساعة السابعة

من كل صباح أن أفتح النافذة وأسمح لنظراته الوالهة أن تخترق قلبى فأرد عليها بابتسامة خجلى ثم أسرع بغلق النافذة والحياء يكاد يقتلنى .. وأرتمى على كنبتى .. ألهث ويتصبب جبينى عرقاً .. وأظل اليوم كله أستجمع شجاعتى لميعاد السابعة فى الصباح التالى وكانت كاميليا تسخر منى كلما رأتنى على هذا الحال :

– إلى متى ؟ ... إلى متى ؟

– كاميليا ..

– حب طاهر .. ها ها .. عفيف .. آه .. الحب العذرى .. الرومانسية المرهفة .. حب بدون كلام .. ولا ميعاد .. ولا لمسات .. ولا قبلات .

– دعك من هذا الهراء

– هراء ؟ ! .. يا حبيبة قلبى .. يجب أن تعترفى بحبك وتصرخى به فى وجه الدنيا وتسمحى له ولجمال أن يكون لهما مكان تحت الشمس .

ـ دعك من هذا الهراء يا كاميليا .

ـ اتركيه يعطيك ميعادا تقابلى معه ـ أحبيه .. ذوقى طعم الحب .

كانت كلماتها سهام نافذة إلى قلبى .. تخاطب امنياتى الحبيسة ولكن ضميرى يقف لها كالسجان الحاكم ويقتلها كلها .. حاولت مرات ومرات معى وفى كل مرة أجدنى أرفض ولما اختفى جمال من النافذة :

ـ ألم أقل لك ؟ .. لقد مل .. نعم .. أصابه اليأس منك ومن صمتك .. هكذا تقتلين نفسك يا سهير .

ـ فليفعل الله ما يشاء ... أنا مؤمنة بالنصيب .. إن كان جمال نصيبى فسأناله وإن لم يكن نصيبى .. فسأكون لغيره .. الذى سيأتى ويأخذنى نظيفة .

ـ نظيفة ؟! .. ها ها ها .. نظيفة .. أشكرك .. أشكرك يا سهير .. يا شيخة سهير .. اشكرك على سبك الضمنى اعلمى أنك لست نظيفة كما تدعين .. انك واهمة ..

قلبك ملوث بحب جمال توفيق .. وسيظل للأبد بداخله .. وأى رجل غيره سيحتل المرتبة الثانية .. ومهما فعل فلن يقدر أن ينظف قلبك الملوث .. أيتها النظيفة .. ها ها ها ...

استفزازية هى أختى كاميليا .. فبيننا على الدوام منافسة فى الإيمان والثقة بالنفس .. كانت كل واحدة فينا تحاول أن تقف واثقة من نفسها أمام الأخرى والفائزة هى من تقدر على استفزاز الأخرى وإشعارها بالاهتزاز .. فكان الإيمان والإعتقاد يتصارعان بين الحق والباطل .. بين الصواب والخطأ .

وهكذا سارت بنا الأيام .. كاميليا دائما تعتنى بشعرها وبين كل وجبة وكلمة وصباح وليل تراقب وجهها فى المرآة عشرات المرات .. ترتدى الثياب على الموضة .. ولم يقدر والدى ولا والدتى عليها .. للسانها السليط وهجومها الشرس .. تضحك دائما وتنطلق كالنسيم .. تأكلها عيون الشباب فى الشارع وتشتهيها الأنفس .. أما هى .. فدراستها فى

المعهد لا تعنى إلا مزيدا من اللقاءات .. لقاءات الظلام .. كل ساعة مع شاب جديد .. إنها تتجول فيهم .. وكأنها تريد أن تعرف كل رجل على الأرض .. لم تخشى يوما أن تسوء سمعتها ولا سمعة أسرتها كانت دائما تتذرع بالقول ‹ من كان منكم بلا خطيئة فليرميها بحجر › وتقول إن الجبناء يعملون فى الخفاء .. أما هى فشجاعة لا تخشى شيئا مهما كان وإذا تطرق الحديث لذكر الدين .. تسخر وتتهمنى بالتحجر والرجعية :

ـ استغفرى الله يا كاميليا وتوبى إليه .

ـ استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم منك يا شيخة .. يبدو أن فراق الحبيب الغالى جعلك تسقطين حنقك على الناس .

ـ دائما بارعة فى التخلص من المواجهة ..

ـ أى مواجهة ؟

ـ المواجهة مع الله ..

ـ كفى يا سهير كفى ..

ـ لا ..... إن الذى خلقك يعلم ما تفعلين .. يراك وأنت عاصية .. فاسدة .

ـ وماذا بعد ؟

ـ النار ... النار يا كاميليا .

ـ ها ها ها .. وجعل لك الجنة يا سهير ؟ حبيبتى .. كل هؤلاء الناس إلى النار لقد اغلقت الجنة أمامنا .. نحن أهل النار .. ها ها .. كلنا فى الفساد

ـ استحوذ عليك الشيطان يا كاميليا للأسف .

ـ وما الذى فعلته فى حياتى لكل هذا التشاؤم يا عزيزتى .. هه ؟

ـ الحرام ... إن شرفك أمانة حملها لك الله .. شرفك يا كاميليا وجسمك الى تبيعه بالرخيص ضيعتى أمانته .

ـ اخرسى .. اخرسى يا مجرمة .. أنا لم أفرط فى نفسى ولن يحدث ذلك أبداً .

ـ أخرس ؟ .. رويداً رويداً .. ما ظنك بمن تمشى فى الشارع شبه عارية ومن تعطى شفتيها لصديقها ؟ وتعبث مع الشباب بما لا يكون إلا للأزواج ؟

ـ هذه قضية أخرى .. ولكنى لم أغلق بابا خلفى ومعى رجل فى حجرة أبدا .

ـ هذه هى الخطوة القادمة .

ـ أخرسى

ـ الأخطاء كالقطار .. يجر بعضه بعضا .

ـ اسمعى يا سهير .. أنت فى عالم وأنا فى عالم آخر .. ولن نلتقى أبدا .. حاولت كل واحدة فينا أن تقنع الأخرى .. أن تجعلها مثلها فى كل شئ .. ولكن للأسف نحن متشابهان فقط فى الصورة .. ولن نلتقى أبدا فى الطباع .

ـ كاميليا .. أنا أحبك .. وأعرف أنك تحبيننى

ـ صدقينى يا سهير .. أنا أشعر بك مهما بعدت المسافات .. ولو ضايقك شئ يضايقنى .

- إذن .. حبيبتى .. ارجعى إلى حظيرة الله .. أنت أجمل وأرق من أن تحرقى فى النار .

- يا إلهى .. سهير .. اسمعى .. أنا ذاهبة فى مشوار قريب وسأعود بسرعة .

وهكذا سارت بنا الحياة .. أنا فى وادى وأختى فى واد آخر .. أما والدينا فالقرش يحجبهما عنا .. وسقطت أمى فى حملها الأخير .. هذه الأمنية القديمة .. الإتيان بولد .. ذكر يحمى البنات .. كبرنا .. وننتظر الزواج والخلفة وهما ما يزالان يحلمان بالذكر الذى سيحمينا .. كانت محاولة يائسة منهما .. حلما قديما .. رغم أن السبب قد زال .. إلا أنه باق كما هو .. تزيد أمى من حملها ثقلا بأن تعيد الحبَل وهى تذهب إلى عملها كل يوم وتعود فى الخامسة مهلكة .. ولولا أننى أحمل عبء البيت على كتفى . لما أصبح هناك بيتا نعيش فيه .. أما أبى فهو ما زال يحلم بأن يقصر فترة العمل على الصباحية فقط .. إلا أننا نخرج من جمعية

إلى أخرى .. ونشترى بالأجل ولن يستطيع أن يتخلى عن وظيفته المسائية بأى حال من الأحوال .. ورغم كل هذا .. إلا أننا فى المساء كان يغلق خلفنا الباب ويشملنا ستر الله وأحلامنا المكررة تفرض علينا روتينا يشعرنا بالاستقرار .. إلى أن أتى يوم تأخرت كاميليا إلى بعد منتصف الليل .. وتعجبت إذ أن أبى عاد مرهقا ولم يسأل عنا أما أمى فقد خلدت إلى النوم فى التاسعة .. ولم يبق للقلق سوای ليأكلنى .

‹ أين أنت يا كاميليا ؟ ›

‹ أين أنت يا سهير من هذا النعيم ؟ .. تعالى يا حبيبتى لننهل أكثر من الحب ›

خرجت إلى الشارع أبحث عنها .. ولكن أين أذهب ؟ .. ظللت أسير على غير هدى

‹ ستندمين يا كاميليا على تصرفاتك ›

‹ سهير .. ستندمين إذا لم تلحقى بكل هذه الإثارة ›

‹ كاميليا .. أختى .. انظرى فى الساعة .. لقد تأخرت كثيرا ›

‹ يا إلهى ... يبدو أن الوقت مر سريعا .. لابد أن أعود للبيت ›

هكذا كنا دائما ... نتخاطر ولكن مع الزمن أخذت حدة التخاطر تضعف ... قديما كنا شيئا واحدة .. فى هذه الليلة انقطع آخر ما بيننا من التخاطر وعدت لا أسمعها ولا تسمعنى ... فبعدما كلّت رجلاى عدت أقف بباب البيت وانتظرت إلى مطلع الفجر .. فإذا بها تأتى مسرعة فنهرتها ولم ترد علىّ لشدة غضبى وصعدنا إلى البيت دون أن يشعر أحد منهما .. ودخلنا حجرتنا :

ـ كفاك يا سهير .. كفاك .. لم أعد أطيق سماع صوتك .

ـ أهكذا يكون اعتذارك عن قلقى عليك ..

ـ من قال لك أنك لابد أن تقلقى .. اسمعى .. أنا حرة

.. حرة .

ـ لا .. أنت بيننا وكل ما يمسك يمسنا .. ستجلبى لنا ولأبيك العار ..

ـ أنت مدفونة فى الطين أيتها الأخت .. فى الطين .. فى هذا الحى العفن .. الذى لا تفوح منه غير رائحة العرق وزيت الطعمية وركام القمامة .. الدنيا حتى هذه الساعة فى أماكن أخرى تبدأ يومها .. سهر .. رقص .. حب .. فرفشة .. روشنة .

عبثا كان الحديث بيننا .. تركتنى ونامت ملء جفنيها الراحة .. كأن شيئا لم يكن ولكن النوم قد طار من عينى .. فتحت الشرفة مع أولى نسمات الصباح الصيفى الجميل وقفت فيها أنظر للشارع الذى يغرق فى الهدوء .. رائحة الجو الضبابى المشبع ببخار الماء البارد ينعشنى .. نظرت للبيوت النائمة والمحال المغلقة فلم يكن ثمة حركة فيما عدا جندى يهرع ليعود إلى معسكره .. أو فتاة تخرج مبكرا لتلحق بعربة

الشركة .. أو بائع الكعك الشبابيك الذى يصاحب بائع اللبن .. ورغم ذلك فإننى قررت الاستمتاع بالوقت الباقى على الزحام وسيطرة الشمس على النسيم .

ولاحت نظرة منى إلى الحجرة .. بالتحديد إلى الساعة المعلقة على الجدار .. كانت تشير إلى السابعة إلا ربع .

تذكرته .. « جمال » نظرت إلى نافذته .. وسألت نفسى .. أين ذهبت يا جمال ؟ ... نظراتك كانت تشعرنى بالأمان .. هل حقا تركتنى لأنك مللت صمتى وخجلى كما قالت كاميليا ؟

ياه ... كم تكون الذكريات مؤلمة بقدر ما هى عزيزة على النفس جميلة .. أين أنت يا جمال ؟ شردت أحملق فى عصفورين على سلك الكهرباء وهما يتعاونان فى حمل قشة كبيرة نحو عشهما فى جدار البيت المقابل .. وأفكر فى أحلامى التى تبخرت .

كان جمال شابا وسيما .. يعيش وحيدا بعد موت والديه

.. يا إلهى حتى لم أقدر أن أسأل عنه الجيران .. أنا متحفظة لدرجة مفرطة .. أنا لم أسأل أحداً عنه رغم غيابه الكبير .. ولكن .. ولكن ..... .

سمعت دقات السابعة .. تبا لهذه الدقات .. إنها لا تعنى سوى رؤية جمال .... صوت الساعة يتبعه صوت مزلاج الشيش .. ثم تنهار كل أنوثتى ويضطرب قلبى .. وأشعر أننى سأطير إليه ، وحدثت المعجزة فى هذا الصباح .. هذا الصباح الحبيب .. لم أصدق عينى .. دقت الساعة وهذا هو صوت المزلاج ... إنه هنا .. لقد عاد .. عاد جمال .. عاد .

قدماى لا تقدر على حملى .. قلبى يتحطم من شدة الاضطراب .. كل جسمى يرتجف والفرحة أصبحت تغنى لحنا لم أسمع مثله من قبل .

جمال .. لأول مرة أراك عن قرب هكذا .. كان يبتسم ولا أدرى لماذا تسمرت مكانى .. تعودت من قبل أن أراه من نافذة الصالة الخارجية ثم أهوى جالسة إلى الكنبة .. تحاشيت

الشرفة لقربها من نافذته نظرت المرة إليه فى عينيه رأيته يهتز مثلى ويتوتر .. كان مرتبكا .. يريد أن يقول شيئا .. أردت الفرار منه .. ولكن .. كأن كاميليا تدفعنى لابقى ولأسمع ما يريد أن يقول :

– صباح الخير يا أنسة سهير .

دارت الدنيا بى .. أردت أن أرد عليه فعجزت وأراد هو أن يفر من أمامى بعد أن رمى حمله الثقيل .. الحياء أمسك بكل منا من قفاه .. فابتسمت ولم أزد .. ودخل ولم يعد . وكانت أول مرة اسمع فيها صوته وأول مرة ابقى حتى يتركنى واقفة مكانى .

وفى جلسة مع كاميليا بعد الظهيرة كنت لا أتفوه بكلمة شاردة .. ما زال بى الذهول.

– عجبا يا شيخة سهير .. فيم كل ذلك الشرود الذى رحمنى من نصائحك ؟

– لا شئ .

ـ سهير .. سهير ..

ـ هه ...

ـ لا ... يبدو أن حبيب العمر قد نال من فكرك اليوم كثيرا .

ـ رأيته

ـ حقاً ؟!! ... ومتى كان ذلك ؟ احكى قولى بسرعة .. متى عاد ؟

ـ اليوم .. فى الصباح .. فتح النافذة فى نفس الميعاد .

ـ الله .. الله ... كم هو جميل هذا الحب ... كم هو جميل .. ها .. وماذا فعلت هه ؟ .. كلمك ؟ .. كلمتيه ؟ قولى .

ـ قال لى صباح الخير .

ـ فقط ؟

ـ لا .. قال لى صباح الخير يا أنسة سهير .

ـ فقط ؟

– وهل كان يجرؤ على أكثر من ذلك ؟
– وأنت .. ماذا قلت له ؟
– لم أقل شيئا
– ماذا ؟ ... ألم تردى عليه ؟
– لا ... لم أقدر يا كاميليا .
– بلهاء ... كانت فرصتك .. فرصتك الوحيدة .. أهكذا يا سهير ؟ .. كان لابد أن تشبكيه .
– أشبكه ؟!
– نعم ... ما هذا ؟ .. ما هذا ؟ .. كان لابد أن تردى عليه .. تعطيه الفرصة لتبادل الحديث يعطيك ميعادا .. فتذهبى لمقابلته .. هكذا نظرة فابتسامة فموعد فلقاء وهكذا ..
– هيه هيه .. ماذا تقولين ؟ .. لا ... لا يا كاميليا .. لا تنسى نفسك .. أنا ؟ أنا ؟ .. أنا لا أقدر على ما تقولينه أبدا ... أموت قبل أن أفعلها .

ـ يا إلهى .. ستظلين هكذا .. سيموت جمال فى أحلامك ولن تجديه .

ـ أيجب أن نخطئ من أجل الأحلام ؟

ـ ما تعتبرينه خطأ يعتبره الناس شيئا عاديا .

ـ ضميرى يعرف الخطأ والصواب ويمكنه التفريق بينهما .

ـ ياربى ... اسمعى يا سهير ... لقد مللتك والله .. افعلى ما تشائين .. أفعلى ما يحلو لك ... أما أنا فلن اسمع لك بعد الآن .

ـ كاميليا .. كاميليا .

قامت وتركتنى وحدى .. إنها لا تريد أن تسمعنى .. لا تريد .. إنما تستغل كل ضعف منى لتنفث داخلى سمومها الفتاكة .. لن أسمعها مرة أخرى .. ولكن ما بال جمال ؟ .. ماذا أفعل حيال نظراته المعذبة ؟ أخذت أذرع الحجرة جيئة وذهاباً .. فى حيرة من أمرى حتى قلت فى



نفسى « الحق أحق أن يتبع » .. طوال حياتى وأنا أقيس سلوكى بمعيار دينى .. وأنظر فى أمرى .. هل يرضى الله أم يغضبه .. وضميرى الذى نمى وترعرع فى ظل الهدى يرفض اقتراحات كاميليا .. إنه يعذبنى على تلك الابتسامات المجانية التى منحتها لجمال .. الحق أن يأتى .. لماذا لا يأتى ويطلب يدى وسأوافق عليه مهما كانت ظروفه .. هذا هو الحق ولن أحيد عنه أبدا .. أبداً .

ومرت أيام لا تزيد عن أسبوع وفى كل صباح أقف فى النافذة وقد تشجع جمال فأخذ يلقى الصباح بجرأة أكبر .. ولم أزد عن تلك الإبتسامة الأولى .. وحاول الشيطان أن يجذبنى إلى أن أطور الأمر .. فكنت أتوق لأرد عليه ولكنى آمنت بأن الخطأ يجر وراءه خطأ أكبر وأنا لا أحب جمال بقدر ما أحب الله .

وفى اليوم التالى زادت جرأة جمال عندما لوح لى بورقة مطوية فأصابنى الفزع وشعرت وكان السماء ستنطبق على

الأرض وأغلقت النافذة فى وجهه وكان يوما عصيبا لم أر مثله من قبل وقررت ألا أفتح النافذة فى الصباح التالى :

ـ ماذا بك يا سهير ؟

ـ كاميليا .. انقذينى .. جمال يريد أن يعطينى خطابا غراميا .

ـ براڤو .

ـ ماذا أفعل يا كاميليا ؟ .. أنا لا أقدر على ذلك .

ـ لا تقدرى على ماذا ؟ .. على قراءة خطاب ؟ فيه حوار وكلام جميل .. يشرح فيه حبيبك مشاعره وأحلامه ومطالبه ؟

ـ ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ .. ماذا فى ذلك ؟ .. اعتقد أنه لا عيب ولا حرام .

ـ كان يجب أن يكلم والدى أولاً .

ـ ما زال العقل المتحجر مكانه .. لابد أن يتحرك .. أنا

لم أر فتاة مثلك .. الآن نحن فى نهاية القرن العشرين يا سهير .. وهذا أبسط شئ .

ـ إذن ماذا ترين ؟

ـ أرى أن تأخذى الخطاب وتفتحيه .. وتقرأيه .. ولنرى ماذا كتب فيه .

ـ أنا خائفة .. خائفة .

ـ هل آخذ لك الخطاب بدلا منك .

ـ لا .... لا ...

ـ كل هذا الحب ؟ .. وكل هذه الغيرة ؟ .. ثم لا شئ .. لا شئ .. ستصيبيننى بالجنون يا سهير .

ـ آه .. آه يانى .. سأحاول .. سأحاول يا كاميليا .. سأحاول .

ـ غداً سنقرأه سوياً .. أما الآن .. فلا تحسدينني على موعد فيه المنى والجمال والإثارة .

ـ كاميليا ... إلى أين ؟

- فلتبقين هنا مع أحلامك ومع حبيب النافذة المتعطل .. أما أنا فلدى موعد فى الحديقة الدولية مع شاب لم تر العيون مثله من قبل .. ما كل هذا ؟!! سيارة .. رشاقة .. ثراء فاحش .. حب .. حب حتى الغرق .

لأول مرة أجدنى لا أفكر فى كاميليا ولا أشعر بخطورة أفعالها .. ولم أنم تلك الليلة وجاء الصبح وحانت السابعة وفتحت النافذة وأنا لم أصل إلى قرار بخصوص الخطاب المخيف ولكن جمال لم ينتظر موافقتى فقد ألقى بالخطاب فى شرفتنا ثم القى الصباح وتركنى ودخل .

قنبلة موقوتة فى شرفتنا .. لا أدرى .. هل تحمل السعادة أم الشقاء .. ترددت فى عبور الردهةإلى الغرفة التى بها الشرفة .. لم أكن أحب شعور المجرمة .. ولم أجرب يوماً المرور بمراحل جريمة بشعة كهذه .

قلبى كاد أن يتوقف وأنا فى الشرفة ... والورقة البيضاء المطوية تحت قدمى أحسست بنظرات تحاصرنى وعيون ترانى

.. إنها عيون الله .. عيون ضميرى ... لاحت لى فكرة ، لاحت لى فكرة .. أمسك بالخطاب فأمزقه وألقيه إلى الشارع .

كادت الدنيا أن تميد بى وأنا فى قمة الخوف ترتعش أناملى وأنا انحنى فأمسك خطاب الحبيب .. حبيب يا جمال .. كم أنت حبيب .. وكلامك الذى فى هذه الورقة لا يعنى إلا السعادة ،، ولكننى مع ذلك أشعر بأننى أجرمت فى حق أشياء كثيرة .. فى حق أبى وأمى وضميرى .

ومرت ساعات وأنا أعيش التردد .. تارة آخذ الخطاب إلى كتاب قديم فأدفنه فيه .. ثم أعود لأضعه فى الدولاب تحت أكوام الملابس .. ثم إلى ما تحت مرتبة الفراش ثم إلى جيبى إلى صدرى .. حرت وكادت حيرتى أن تدفعنى لأن أمزقه .. إنه بلاء .. بلاء شديد .

ـ كاميليا ... أين كنت ؟

ـ لقد قمت فى الصباح ولم أشأ أن أتأخر على المعهد ..

ها .. ماذا لديك ؟

– مصيبة .. خطاب جمال أصبح فى يدى .

– ها .. وماذا كتب فيه ؟

– لم أقرأه .. لا أقدر .

أخذت كاميليا الورقة وهى تضحك ثم فتحتها وأخذت تقرأ :

« حبيبتى سهير ... أنا فى غاية الأسف لهذه الطريقة التى أحاول أن أجعلها بداية التعارف بيننا .. ولكنى لا أملك إلاهى أمام تحفظك الشديد تجاهى .

قديما كنت أشك فى حبك لى .. ولكن بالأمس أحسست أنه يجب على اقتحامك بمنتهى القوة .. سهير .. أعلمى أننى أحبك .. ولم أحب غيرك من قبل .. فأنت أول فتاة تدخل قلبى . ولن أسمح لغيرك بدخوله إلى الأبد أريد أن أعرف مقدار عواطفك ناحيتى .. أريد أن أراك بعيدا عن الشارع .. حتى نتفاهم بخصوص حياتنا المقبلة ومستقبلنا .

سأنتظرك غداً .. الساعة الخامسة مساء عند سور الجامعة بالقرب من كشك السجائر .. أرجو أن تحضرى .. أنا فى غاية الشوق لسماع صوتك .. ولك منى أرق وأعذب أمنيات الحب .

جمال توفيق ›

كنت أذوب رعباً وشوقاً مع كل حرف من حروف رسالته إلى أن طلب لقائى فأحسست بالدنيا تسود فى عينى وانهمرت بالدموع :

ـ إنه شاب رومانسى يا سهير .. هنيئا لك به .. ولكن .. لم البكاء ؟!

ـ اعطنى الخطاب يا كاميليا .

ـ أخذت الخطاب وأعدت قراءته مرات ومرات وهى تقف فى المرآة كعادتها .

ـ كفاك قراءة فى الخطاب يا سهير .. وقولى لى .. هل ستذهبين للقائه ؟ .

لم أعرف بماذا أرد عليها ؟ .. كل شئ فى عقلى تناثر فى الهواء .. فلم أجد دعامة أبنى عليها قرارى .. وظللت شاردة وهى تسأل بينما تضحك :

– سهير .. لا حول ولا قوة إلا بالله .... لا تترددى .. إنها فرصتك .. فرصتك الأخيرة .

– لا أقدر يا كاميليا .. أنا لم أتفوه بكلمة حتى الآن .. فكيف أقوم بهذا الأمر الشنيع ؟ .. لا .. لن أذهب .. لن أذهب .

وهكذا ملت كاميليا من مناقشتى ومحاولة إقناعى ولكنها تركتنى وهى تجزم بأننى سأنصاع لأمر الحب وأذهب لمقابلة جمال .. وأن الحب أقوى من كل شئ .. وجاء اليوم التالى وحاول جمال أن يحصل منى فى الصباح على أشارة تفيد بموافقتى على الميعاد ولكنى حتى لم ابتسم له ككل مرة .. بل اندفعت أجرى داخل الشقة ومضى الوقت يأكل بعضه بعضا .. ولكن أين أنا من الميعاد المنتظر .

في هذا اليوم أخذت أتأمل أبى وهو يقوم من النوم كعادته يتأوه من التعب ويشكو الروماتيزم .. أشفقت عليه أكثر من أى يوم مضى .. وفسرت ذلك بأننى أميل لفعل جريمة فى حقه .. هل حقاً سأخونك يا أبى مثلما فعلت كاميليا ؟

لم أصل إلى قرار بعد .

ذهب أبى إلى عمله وأمى كذلك .. وبقيت وحدى .. أذرع الشقة جيئة وذهاباً .. أنظر فى ساعة الحائط وأتوتر وأتوتر .

ـ أين أنت يا كاميليا ؟ .. لماذا تركتينى وحدى ؟

وفجأة رن جرس الباب .. وفتحت لكاميليا التى دخلت مسرعة إلى دولاب زينتها وأخذت تتزين كأحسن ما رأيتها من قبل :

ـ ها .. هل ستذهبين إلى مقابلته يا سهير ؟

ـ قولى لى أنت أولاً .. لمن كل هذه الزينة والتبرج ؟

ـ لا ... موضوع كبير .. يحتاج إلى وقت كبير ..

بعدين بعدين .

كنت الحظ فى عينيها قلقا شديداً .. وبرغم أنها تحاول أن تبدو طبيعية إلا أن شعورى بها لم يكذب أبداً ... إنها متوترة .. متوترة أكثر منى .. أدركت أن بحرها هادئ على السطح وثائر فى الأعماق .. قلقت عليها .. وشعرت أننا ننأى عن بعضنا البعض .. ننأى إلى طرفى عصا عرضها بين المشرق والمغرب .

فها أنا مرة أخرى أجدنى أنساها تماماً .. وأحصر نفسى فى مشكلتى التى تسرع نحوى كجرمٍ أو شهاب سيهوى ليحطم الأرض بمن عليها .

أخذت أتآكل وأنا فى حيرة من أمرى .. فألقيت نفسى على الأريكة الموضوعة فى الصالة وحاولت النوم .. وأعتقد أننى غفوت لبعض الوقت .. وعندما أفقت قمت فزعة أنظر فى الساعة .. كانت الواحدة ظهراً .. بقى من وقت الاختيار واتخاذ القرار .. أربع ساعات بعدها ستتحدد أشياء كثيرة ..

يارب .. ماذا أفعل .. تعبت .. هل الحب حرام ؟ .. أريد أن أقابل جمال لأنى أحبه .. ولكن .. ولكن هذا خطأ .. خطأ .. إننى أنعت الفتاة التى تفعل هذا الفعل بأنها مجرمة .. مجرمة فى حق نفسها وربها وأهلها .

ماذا يحدث لو لم أقابله .. ؟ .. سيحزن ويغضب ويتركنى للأبد ....

أخذت أتخيل صورته وهو يقف يتطلع إلى أول الشارع يأمل حضورى .. متوتراً ينظر فى ساعته كل دقيقة .. ويمر الوقت دون أن أحضر .. ثم يكاد ينفطر من الحزن .

آه .. لن أدعه لكل هذا العذاب .. إنى أحبه .. أحبه .. سأذهب إليه .. سأذهب إليه

اندفعت نحو دولاب الملابس كالمجنونة .. أخرجت أحسن ما عندى .. فستانى الأبيض الذى لم أرتديه سوى مرة واحدة . وركعت تحت الفراش فأخرجت حذائى الذهبى .. وهرعت نحو المرآة أفتح علبة الماكياچ ولكن يدى أصطدمت

بالمصحف الذى كنت دائما أضعه بجانب الفراش .. وإذ بى كمن قرصه ثعبان .. أصابتى رعدة .. وفطنت لنفسى .. فهويت للأرض ألعن أفكارى .. ثم خضت فى هواجسى وشطحاتى وأخذتنى رعدة لم انتهى منها إلا وأنا أقف أمام المرآة أنظر لصورتى وأتأمل فيها كأنها المرة الأولى .

وسألت نفسى .. من أنت ؟ وحدك فى البيت وترتدين الحجاب ؟ أنت مفرطة .. من أنت ؟ .. سهير ؟! .. سهير التى حبست نفسها فى عقلية متحجرة .. كفى .. كفى .. تحررى .. اخرجى من تحت حجابك .. انطلقى .. اعرفى العالم والدنيا .. كل البنات يتركن لرغباتهن العنان . حتى ينضجن وأنت طيلة النهار فى هم وكرب .. أنت لا تضحكين ولاتمرحين .. لم يضع أحد الأغلال فى يدك .. بل أنت التى كبلت نفسك إلى عامود من صوان .. كفاك يا سهير .. كفاك ادعاء التدين .. فإن الله غفار للذنوب .. يجب أن نخطئ حتى يغفر لنا الله .. سأضيع .. سأضيع إذا

لم أتحرك .. سأظل مكانى ولن أتزوج ..

قررت أن انتفض من سباتى .. أنا حرة .. وعلى الفور دخلت الحمام واغتسلت ولا أنكر أن ضميرى كان يحاول أن يعيدنى إلى صوابى .. ولكنى لم أجد حلاً بديلا .. لا أقوى على مقاومة الحب .. أريده .. أريد جمال .. سأقابله وسيفهم منى كيف يكون الطريق السليم .. مرة .. مرة واحدة فقط أقابله وبعدها سيأتى إلى أبى .. لابد أن أجمع الأطراف كلها فى يدى .

وحانت لحظة التنفيذ .. واغلقت الباب خلفى ونزلت السلم والعطر يفوح من جسدى وأنا أرتدى ثيابى لأول مرة ولا حجاب على رأسى .

وفجأة لمحت والدى يدخل من باب البيت .. وجدت رجلى تجريان عائدة إلى شقتنا ولكنى تسمرت فجأة وقد رآنى قبل دخولى .. :

- سهير .. ما هذا الجمال يا سهير ؟ .. أول مرة أراك

هكذا .. يبدو أنك فى طريقك إلى حفل زواج أو خطوبة ..
ـ نعم .. نعم يا أبى .. هو كذلك .
ـ ولماذا عدت للشقة ؟
ـ نسيت أشياء سأحضرها معى .

أول القصيدة كفر .. عشت حياتى لم أكذب كذبة واحدة .. ولأجل جمال كذبت على أبى .. طعنته فى ظهره .. كرهت نفسى .. لكن عزمى قد عرف وجهته .. وها أنا أشبه كاميليا فى كل شئ .. حتى أن الناس فى الشارع لم يظنوا إلا أننى كاميليا .. خرجت من الشارع لأجدها أمامى تسير وهى تجر رجلاً وتؤخر أخرى وتكاد تسقط على الأرض .. ويبدو على ملابسها الإهمال والهرجلة :

ـ كاميليا .. ماذا بك ؟

نظرت إلىّ بعينين زائغتين كأنهما حجرين .. وقالت بصوت كأنه يأتى من أعماق محيط مظلم :

ـ لاشئ ... لا شئ يا سهير .. فقط لقد انتهى كل شئ .

لم أفهم ماذا تعنى تلك الكلمات .. فأنا فى حالة لا تسمح لى بالتدقيق فى أى شئ .. كل ما وصل لذهنى أن صديقاً جديداً قد خانها أو غدر بها وتخلى عنها .. ولم أدرك أنها مشكلة أعظم وأكبر وأفدح :

ـ كاميليا .. أنا ذاهبة للقاء جمال .. أنا خائفة .. خائفة .

ـ لا تقابليه يا سهير وعودى للبيت .

ـ كاميليا !!! .. أأنت التى تقولى ذلك ؟! والآن ؟! الآن بعدما حطمت كل شئ من أجله ؟! لا تقولى ذلك .

ـ أنا خائفة عليك يا سهير .. كنت أنت على صواب وأنا المخطئة ... أنا المخطئة .

نبرتها تحمل أسى مريراً .. أحسست أنها تقترب من السقوط .

ـ كاميليا ... تعالى معى إذن ... أو آتى لأوصلك أنا للبيت .

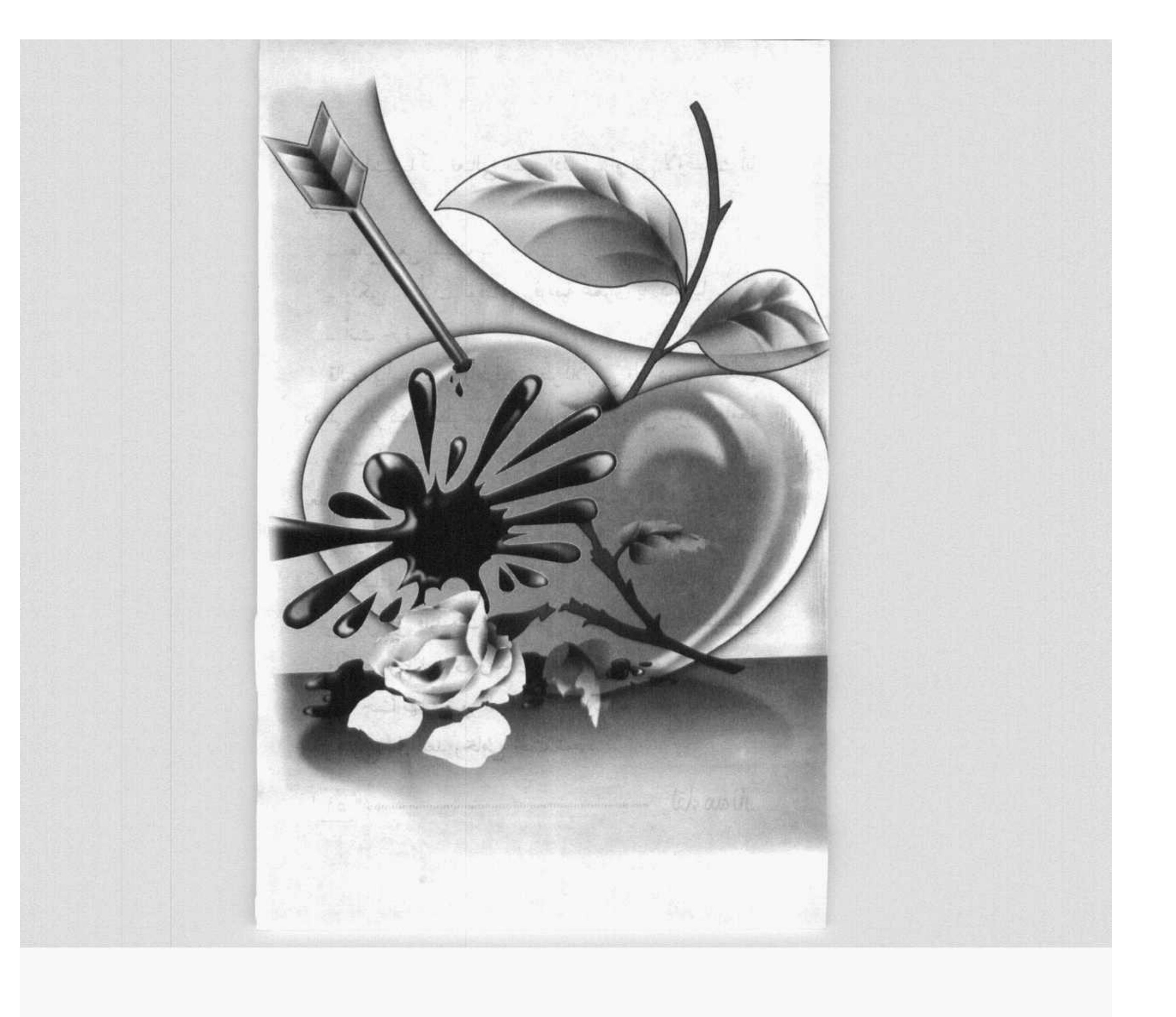
ـ تعالى معى للبيت .

ـ ولكن .. أزف الوقت .. فرصة عمرى يا كاميليا .

ـ أنت حرة .

قالتها بيأس شديد وأطرقت تنظر للأرض ولا أدرى ما الذى دفعنى لأتركها وأنظر صوب الشارع المؤدى إلى سور الجامعة .. وقلت فى نفسى .. لابد أنها ستعود إلى شقاوتها غداً أو بعد غد .. لن أدع فشلها يسيطر على نجاحى أبداً .

ونظرت وأنا أمرق من الشارع إلى كشك السجائر فوجدته كما تخيلته .. يقف فى قلق ينظر فى ساعته ..فما إن رآنى حتى هش إلىّ فارتبكت ودق قلبى بعنف وارتعشت مفاصلى .. ولكنه هرع نحوى ومد يده فسلمت عليه .. ومشيت بجانبه حت نهاية سور الجامعة .. كلانا لا ينطق بكلمة .. حتى لاح لنا مقعد رخامى تحت شجرة :



ـ مكان جميل .... أليس كذلك ؟
ـ إنى خائفة يا جمال ... أول مرة أفعل ذلك ..
ـ لا تخافى مادمت معك ..
ـ لماذا أردت مقابلتى ؟

ضحك جمال .. وضحكت وتشجعنا فذابت بيننا جدران الحياء والخجل .. وأحسست أنى أطير فوق السحاب .. معى شاب أحبه .. رجل بمعنى الكلمة .. هذا أقصى ما تتمناه فتاة .. كم كنت سأضيع فرصة عمرى .. حبيب قلبى .. جمال .

ـ الوقت تأخر .. لابد من عودتى للبيت .
ـ اسمعى ... أريد أن أراك مرة أخرى .
ـ فلتأت للبيت وتطلب يدى من والدى .
ـ ليس قبل عام أو عامين .. كما شرحت لك .. ظروفى لا تسمح فى الوقت الحالى .
ـ إذن فلماذا نتقابل ؟

ـ لأننا نحب .. نحب ونعشق ونشتاق ولابد أن نُبقى حبنا متقداً .

ـ ولكنى أخاف من ... .. أخاف أن يرانا أحد .

ـ هل تثقى فى جمال ؟

ـ ثقة عمياء .. لو لم أثق فيك فكيف أحبك ؟ وكيف آتى لمقابلتك ؟

ـ أعرف مكاناً لن يرانا فيه أحد .

ـ أين ؟

ـ شقتنا .

ـ هل جننت ؟!

ـ باب بيتنا فى الشارع الخلفى أنت تعرفيه جيداً .. شارع لا يمر به أحد .. فلن يراك أى إنسان تدخلين أو تخرجين منه .

ـ كيف تريد أن أفعل ذلك ؟!

ـ ألم تقولى منذ قليل .. أن ثقتك فىّ عمياء ؟

ـ قلت .. ولكن ..

ـ أقسم لك أننى ما اقترحت هذ الاقتراح إلا خوفا على سمعتك .. ففى البيت سنتحدث كما نشاء ونكون على راحتنا .. ويعيش حبنا فى أمان من عيون الناس .. وأقسم لك أننى لن أمسك .. لن أمس يدك حتى ... صدقينى ..

لا أدرى كيف وافقته على ذلك ؟ أنا لم أكن فى كامل وعيى حينئذ .. كنت أنظر فى عينيه وأرقب شفتيه أثناء كلامه .. فأذهب فى عالم آخر .. ولا أسمع ماذا يقول ولم أكن أريد أن يغضب .. لا لن يغضب .. لا أعرف لماذا صدقته .. هل هى رغبة فى تصديقه فحسب .. أنا حقا أثق فيه .. لقد قال وأقسم أن لن يمسنى ..

كان هذا كلامى لنفسى أثناء عودتى للمنزل والذى ما إن فرغت منه وجدتنى أقف فى صالة البيت وأمى تضحك من شرودى .. كانت سعيدة كأنها اشتمت رائحة مغامرتى .. لكنها تريد أن تبارك أفعالى ولو أننا لم نتصارح بعد .

دخلت غرفتي .. كانت كاميليا كما تركتها في الشارع بنفس ملابسها .. مستلقية على فراشها شاردة تنظر فى سقف الحجرة .. ولم تشعر بدخولي . نظرت في وجهها فوجدته كالرخام .. هرب منه الدم .. وبرودته لفحت وجهى .. لم أشأ أن أخرجها من تفكيرها العميق .

ذهبت إلى الدولاب .. غيرت ملابسى وارتديت جلابية البيت توجهت نحو الشرفة .. القيت نظرة على نافذة جمال .. وتمنيت لو فتحها الآن .

كنت فى حالة من الفرح لم أر مثليها فى قلبى من قبل .. وأردت برغبة ملحة أن يشاركنى أحد الناس شعورى ... أريد أن أحكى .. أحكى كل ما دار بيننا :

ـ كاميليا .. افيقى اذن .. افيقى .. أريد أن أقص عليك ما دار بيننا ... نظرت إلىّ بآلية شديدة وبعينين باردتين وابتسمت ابتسامة ميتة ثم قالت بصوت غارق فى الحزن :

ـ وهل أُقسم لك أنه لن يمسك أبداً ؟

هل عاد التخاطر بينى وبين كاميليا .. أم أنها ادعت هذا الكلام من سابق خبرتها .. أحسست بالخوف وشعرت بالمجهول يفتح فمه يريد أن يطبق علىّ .. وعندما أردت أن أردف كلمات أخرى وجدتها تقوم بآلية مخيفة وكأن شيئا خرافيا قد سيطر عليها .. وتوجهت إلى الحمام .. فسرت وراءها :

- كاميليا ... كاميليا ... ماذا بك ؟!

قالت وهى تغلق فى وجهى باب الحمام وتمنحنى نظرة كأنها الوداع :

- لقد أقسم لى سامى بالله أنه لن يمسنى .. أتريدين أن تعرفى حقيقة جمال الذى تحبينه ؟ .. افتحى حقيبتى وستعرفين النتيجة .

أغلقت باب الحمام .. وتكتلت علىّ الهواجس كالطيور الجارحة واشتعلت فى رأسى الظنون . لم أدر بنفسى .. هرعت للحجرة وفتحت حقيبة يدها .. فوجدت صورة

سامى .. آخر شاب تعرفت عليه وعثرت على بعض المناديل الورقية المكرمشة وعليها بقع دم وردى .. هذا الدم أعرفه جيداً .. إنه .. إنه فعلتها ؟ .. هل فعلتها ؟ وقبل أن تطيح بى الصدمة .. سمعت أمى تصرخ :

ـ كاميليا .. كاميليا .. افتحى يا كاميليا .

اندفعت أقفز للصالة . فرأيت أبى وأمى يدقان باب الحمام دقاً عنيفاً وأبى يحاول كسره بينما النار تندلع داخله .. بداخل الحمام كاميليا .. والنار .

لم أفهم فى بدء الأمر .. عقلى عجز عن تناول الحقيقة .. الأمور السوداوية كانت وثابة .. ووثباتها أسرع من أن أفعل أى شئ .

شلتنى المفاجأة .. وأبى يكسر باب الحمام ويتراجع وتتراجع والدتى فى ذهول شديد .. أراها .. كما كانت دائما منطلقة لا يستطيع أحد أن يمنعها .. تحمل العذاب فى اندفاعها .. مشتعلة .. كتلة من الوهج تفوح منها رائحة الموت

لم أستطع الاقتراب منها .. أختى كاميليا ..

دخل الجيران على الفجيعة .. فحاولوا .. ولكن انتهى كل شئ فى لحظة .

وها أنا فى منزل جارنا الأستاذ سيد .. لا أقوى على الكلام .. ومر علىّ وقت طويل .. حتى جاء أبى ليأخذنى إلى بيتنا .. وبعد مرور شهر على الحادث الأليم .. عندما كنت أقوم فى الصباح .. أقرأ لكاميليا فاتحة الكتاب .. ثم أتوضأ ... وفى تمام السابعة .. عندما أسمع مزلاج نافذة جمال ينفتح أكون على موعد فوق المصلية مع ركعات .. أسجد فيها لله وأطلب منه أن يغفر لى ذنبى ولأختى .

تمت بحمد الله تعالى

* * *

روايات حب
(٢)
أحلام العصافير

ولكن كيف يصبر البحر على المد والقمر يشده إليه شداً كل ليل .. فكل منهما وحده بالجسد ولكنه بالروح متوحد مع الآخر .. فى غرفتها تحس به إذا قام أو قعد أو تنحنح وفى غرفته يحسد فراشها وهو يهتز تحتها عند أى حركة وتمنى لو كان بساطا فى حجرتها تطأه بقدميها .. وتعاظم عليهما الأمر ولو أنها كانت أقوى منه لما تجد فى نفسها من رادع يمنعها من الإسترسال فى الحب .

موعدك القادم :

مع العدد الثانى من روايات حب (أحلام العصافير) ..